ARID Journals

ARID International Journal of Media Studies and Communication Sciences (AIJMSCS)
ISSN: 2709-2062

Journal home page: arid.my/j/AIJMSCS

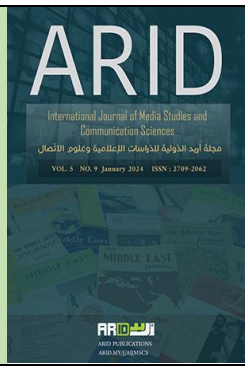

مَجلةُ أُريد الدَّوليةُ للدراسات الإعلامية وعلوم الإتصال

العدد 9، المجلد 5، تموز 2024م

The crime of "electronic terrorism" and the role of the Moroccan legislator in addressing it

EL HICHO Youssef

Specialist In Terrorism and Extremism Issues-Hassan II University - Casablanca

جريمة "الإرهاب الإلكتروني" ودور المشرع المغربي في التصدي لها

يوسف الهيشو

جامعة الحسن الثاني ـ كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية عين الشق ـ الدار البيضاء

youssef.elhicho@gmail.com
arid.my/0008-1812
https://doi.org/10.36772/arid.aijmscs.2024.595

ARTICLE INFO

Article history:
Received 12/02/2023
Received in revised form 18/04/2023
Accepted 19/07/2023
Available online 15/01/2024
https://doi.org/10.36772/arid.aijmscs.2024.595

ABSTRACT

This paper seeks to monitor the crime of "electronic terrorism" as a cross-border crime, for which terrorist organizations have harnessed a network of technicians and technicians specialized in the field of digital terrorist propaganda, which has undertaken the task of (claiming power) at its maximum, and promoting its extremist ideology, relying on that Distinguished digital media material that was considered as a tool for carrying out the criminal act, and posed a real threat to international and national security, which required the Moroccan legislator to fully engage with the countries of the world through his legal arsenal in confronting this crime.

What do we mean by the crime of "electronic terrorism"? And what are its manifestations? And to what extent was the Moroccan legislator able to succeed in addressing it?

Keywords: Crime, electronic terrorism, the Moroccan legislator, national security

الملخص

تسعى هذه الورقة إلى رصد جريمة "الإرهاب الإلكتروني" بوصفها جريمة عابرة للحدود، سخرت لها التنظيمات الإرهابية شبكة من التقنيين والفنيين المتخصصين في مجال الدعاية الإرهابية الرقمية التي أخذت على عاتقها مهمة (ادعاء القوة) في أقصى تجلياتها، والترويج لأيديولوجيتها المتطرفة، معتمدة في ذلك على مادة إعلامية رقمية مميزة اعتبرت كأداة لتنفيذ الفعل الجرمي، وشكلت تهديدا حقيقيا للأمن القومي الدولي والوطني، مما استوجب من المشرع المغربي أن ينخرط كليا إلى جانب دول العالم عبر ترسانته القانونية في التصدي لهذه الجريمة.

فماذا نقصد بجريمة "الإرهاب الإلكتروني"؟ وما هي تجلياتها؟ وإلى أي حد استطاع المشرع المغربي أن ينجح في التصدي لها؟

الكلمات المفتاحية: الجريمة ـ الإرهاب الإلكتروني ـ المشرع المغربي ـ الأمن القومي الوطني

مقدمة:

يتفق معظم الخبراء والباحثين بأن المنتوج الرقمي أصبح يشكل ضرورة أساسية من ضرورات الحياة اليومية، وقد ارتبط ظهوره بالعولمة والتقدم الحاصل على مستوى الثورة المعلوماتية للعصر الحديث، وكان لها كبير الأثر في تغيير ملامح الحياة البشرية على جميع المستويات والأصعدة، بل حتى على مستوى النظام الفكري والنظري ككل، فأصبح هناك ما يسمى بالعالم الافتراضي المرتبط بعالم التكنولوجيا والرقميات إلى جانب العالم الواقعي المرتبط بالعالم المادي المعاش.

غير أن هاته الطفرة المعلوماتية والرقمية لم تكن لتخلو من ثغرات تقنية جعلت من بعض المستخدمين في مجالات التكنولوجيا والمعلوميات والاتصال أن يتعمدوا استغلالها لتحقيق أهداف غير مشروعة تمس بأمن وسلامة الأشخاص والمنظمات والدول، خاصة في ظل قصور وسائل الرقابة وضعف التشريعات القانونية، الشيء الذي أفرز جريمة جديدة لم تكن معروفة من قبل أطلق عليها اسم (الجريمة الإلكترونية).

تصنف هاته الجريمة ضمن الجرائم الغير التقليدية والتي تعرف تزايدا خلال الآونة الأخيرة وتتميز بسرعة الانتشار زمنيا وجغرافيا، كما أنها جرائم ذكية تحدث في عالم افتراضي زئبقي تغيب فيه العناصر المادية الأساسية للفعل الجرمي، ويرتكبها أشخاص أذكياء يتمتعون بقدرات تقنية ودراية معلوماتية، مما يجعل منها جرائم معقدة تستدعي تشريعات قانونية ذكية أيضا يفترض أن يصوغها فقهاء قانونيون من الجيل الجديد والذين لهم خبرة في مجال المعلوميات والتقنيات.

وإذا كانت أنواع الجريمة الإلكترونية تتعدد بتعدد طرق ارتكابها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها؛ فإننا سنركز من خلال هذه الورقة على جريمة واكبت تغلغل المشروع الإرهابي العابر للحدود، بل يمكن القول إنها ساهمت إلى حد كبير في الظهور الكبير والملفت للانتباه الذي عرفه هذا المشروع وهي "جريمة الإرهاب الإلكتروني" المرتكبة عبر الوسائط الإلكترونية خاصة منها صفحات الويب والفايسبوك والإنستغرام والتويتر.

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى مقاربة إشكال محوري يتعلق برصد جريمة الإرهاب الإلكتروني لدى التنظيمات الإرهابية وإبراز مدى فاعلية القوانين والتشريعات المغربية المواكبة لصد ومحاربة هذه الجريمة، وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة المحورية التالية:

ماذا نقصد بجريمة الإرهاب الإلكتروني؟ وما دواعي وأسباب تعاطي التنظيمات الإرهابية لها؟ وما هي تجلياتها؟ وإلى أي حد استطاع المشرع المغربي أن يكون قادرا على التصدي لها؟

تفترض هذه الورقة البحثية أن التنظيمات الإرهابية خاصة تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة قد نجحت (إعلاميا ومعلوماتيا) في نشر إيديولوجية الغلو والتطرف في فترة زمنية محددة يمكن القول إنها فترة أوج قوتها، استطاعت من خلالها أن تستقطب عدد كبيرا من المغاربة المنتسبين لها والمتعاطفين معها والملتحقين بصفوفها الميدانية في سوريا والعراق، كما استطاعت أن تفرض

ذاتها في الساحة الدولية للتعبير عن هاته القوة من خلال أقسى وأبشع مقاطع الرعب والتخويف التي كانت تبثها عبر الوسائط الإلكترونية لكي ترهب بها (العدو).

كما تفترض الورقة أيضا أن المشرع المغربي لم يكن مواكبا لمدى التطور الذي عرفته جريمة الإرهاب الإلكتروني في زمن قياسي، وذلك على مستوى سن التشريعات والقوانين المرتبطة بردع هاته الجريمة والتصدي لها.

أود أن أشير هنا بأننا لا نهدف من خلال معالجة هذا الموضوع إلى التباهي بما أقدمت عليه التنظيمات الإرهابية من أعمال تهدد الأمن القومي للدول بقدر ما نهدف إلى الدعوة لتوخي الحيطة والحذر في تعاملنا مع المنتوج الرقمي الذي غالبا ما نجهل مصدره ونحن نتصفح الوسائط الإلكترونية عبر الشبكة العنكبوتية، كما نهدف أيضا إلى دعم صانعي السياسات الأمنية والقانونية بالمغرب والتعاون معهم من أجل إنجاح الاستراتيجية الوطنية المتعلقة بمحاربة الإرهاب في جانبها المرتبط بالأمن السيبراني.

تختار الورقة استخدام المنهج التاريخي أولا، وذلك على اعتبار أن جريمة الإرهاب الإلكتروني قد عرفت تطورا زمنيا ارتبط بتطور المشروع الإرهابي ككل، كما أن تطورها وانتشارها ارتبط بفترة زمنية معينة، وثانيا المنهج الوصفي، ذلك أن طبيعة الموضوع تقتضي وصف الظاهرة (جريمة الإرهاب الإلكتروني) خاصة عند إبراز دواعيها وأسبابها ثم تمييزها عن غيرها من الجرائم الأخرى، وثالثا المنهج التحليلي، وذلك حتى يتسنى لنا عرض وتفكيك هاته الجريمة من خلال كشف تجلياتها وتحليل أدواتها ونماذجها المنتشرة عبر الوسائط الإلكترونية المختلفة، كما يمكننا أيضا الاستعانة بالمنهج المقارن خصوصا عند قيامنا سواء بمقارنة الجريمة مع غيرها من الجرائم المتقاربة معها أو عند مقارنة التشريعات القانونية المغربية المرتبطة بهاته الجريمة مع بعض التشريعات القانونية لدول أخرى.

ومن خلال إشكالية البحث الرئيسية والتساؤلات الفرعية المرتبطة بها، سأحاول اختبار الفرضيات السالفة الذكر من خلال التركيز على مفهوم الجريمة الإلكترونية في علاقتها مع مفهوم الإرهاب وجهود المشرع المغربي لمحاربتها، وذلك من خلال ثلاث محاور وخاتمة، فالأول يتعلق بالاطار المفاهيمي والتاريخي لجريمة الإرهاب الإلكتروني الذي أهدف من خلاله إلى الوقوف عند كل مفهوم من المفاهيم المركزية للورقة وبيان المحددات الرئيسية سواء تلك المرتبطة بها أو التي تميزها عن غيرها من المفاهيم المتقاطعة معها موضحا في ذات الوقت تطورها عبر التاريخ، والثاني يتجه نحو توضيح تجليات هاته الجريمة واستعمالاتها العملية عبر مختلف الوسائط الإلكترونية وهو المحور الذي تتجلى فيه قوة وخطورة هاته الجريمة لاعتبارات متعددة سنتطرق إليها، والثالث سأخصصه لإبراز مجهودات المشرع المغربي في التصدي لهاته الجريمة وإبراز مدى نجاعة تلك المجهودات أو قصورها، وبعدها سأختم الورقة بخلاصات أساسية مركزة أقوم من خلالها باستعراض أهم الاستنتاجات المتوصل إليها.

1 ـ جريمة الإرهاب الإلكتروني: المفهوم وتطوره

معلوم أن مفهوم الإرهاب لم يستقر على تعريف اصطلاحي واحد، وذلك نظرا لكون الظاهرة عرفتها المجتمعات البشرية قديما ولا زالت تعاني من ويلاتها إلى الآن، فلفظ الإرهاب (Terror/Terrorism) قديم غير جديد واستخدامه غير طارئ مستجد، حيث نجد أن لفظ (La terreur) قد تم استخدامه في خطاب أمام المؤتمر الوطني الفرنسي الذي تشكل بعد الثورة الفرنسية سنة 1789 وجاء موسوما باسم "مبادئ الأخلاق السياسية" ألقاه ماكسيميليان روبسبيير Maximilien Robespierre في 5 فبراير 1794 (وهو محام فرنسي ورجل دولة ومن الشخصيات الأكثر تأثيرا في الثورة الفرنسية) متحدثا عن العلاقة القائمة بين مبدأي الفضيلة والعنف الثوري الموجه إلى أعداء الثورة، جاء فيه: "إذا كان ربيع الحكومة الشعبية زمن السلام هو الفضيلة، فإن ربيع الحكومة الشعبية زمن الثورة هو في الوقت نفسه الفضيلة والإرهاب: الفضيلة التي بغيرها يكون الإرهاب مميتا، والإرهاب الذي بغيره تكون الفضيلة عاجزة. ليس الإرهاب سوى العدالة عاجلة صارمة حازمة، ومن ثم فهو انبثاق عن الفضيلة؛ إنه ليس مبدأ خاصا بقدر ما هو ناجم عن المبدأ العام للديموقراطية مطبقا على أشد احتياجات بلادنا إلحاحا"[1]

جاء الإرهاب هنا يشير إلى مساعدة الفضيلة وتمكينها لكي تهزم الرذيلة التي مثلها النظام القديم، بمعنى أنه يتضمن تخويف (أعداء الثورة) من أجل ردعهم عن محاولة إرجاع فرنسا إلى زمن ما قبل الثورة.

نفس الأمر تقريبا نجده في تصريح لمؤسس المخابرات السوفياتية في عهد لينين وهو فيلكس دزيرجينسكي Felix Dzerzhinsky الذي صرح قائلا: "إننا نمثل في أنفسنا إرهابا منظما"[2] وأشار في موضع آخر أن الإرهاب الأحمر يشتمل على "إرهاب واعتقال وإبادة لأعداء الثورة (البلشفية) على أساس انتمائهم الطبقي أو أدوارهم ما قبل الثورة"[3] في إشارة واضحة للسياسة التي انتهجها جهاز الأمن الذي أسسه البلاشفة بعد الثورة القائمة على إرهاب أعداء الثورة والحفاظ على المنجزات التي حققتها.

في الحالتين الفرنسية والسوفياتية نجد أن لفظ (الإرهاب) استخدم بمعنى (التخويف والترويع) من طرف ثوريين ضد أنظمتهم السياسية الاستبدادية يهدفون من خلاله إلى رغبتهم في ضبط المجتمع وتنظيمه، وهي نفس السياسة التي تنتهجها الدول الحديثة ضد معارضيها، وهذا يعد من الحقوق الطبيعية والشرعية للدول حفاظا على استقرار نظامها العام وأمن شعوبها وضمانا لاستمراريتها، وهذا النوع من الإرهاب هو ما يصطلح عليه بـ (العنف المشروع).

---

[1] *Slavoj Zizek (ed.), Robespierre, Vertue and Terror (London&New York: Verso, 2007) P.115*

[2] *J.Michael Waller, "Russia: Death and resurrection of the KGB" in: Ilan Berman & J.Michael Waller (eds), Dismantling Tyranny, Transitioning Beyond Totalitarian Regimes (Lanham: Rowman & Littlefield publishers, 2006) P.4*

[3] *George Lagget, The Cheka: Lenin's political police (Oxford: Oxford University Press, 1987) P.114*

غير أن الاستخدام المعاصر لمصطلح الإرهاب Terrorism يختلف تماما عن دلالة اللفظ الأصلية وهو Terror، فإضافة ism في آخر الكلمة تحول اللفظ إلى تسمية لمذهب أو بالأحرى لـ "ظاهرة قائمة بذاتها[4] " تحتاج إلى تعريفات أخرى قد تغير من مدلول تعريفاتها السابقة التي كانت تدل على الإرهاب كـ (أداة ووسيلة) للردع والتخويف.

يعود بروز لفظ (الإرهاب Terrorism) كظاهرة حسب المؤرخ راندال دافيد لاو Randall David Law في كتابة (الإرهاب: التاريخ) إلى "ممارسات الحركات الثورية الاشتراكية الشعبية والفوضوية في القرن التاسع عشر، أولا في روسيا القيصرية ثم في أوربا، والتي كانت تستهدف أشخاصا معينين في جهاز الدولة"[5] مثل حالة اغتيال القيصر ألكسندر الثاني بواسطة قنبلة ألقاها عضو في منظمة (نارودانيا فوليا Narodanya Volya) في 13 مارس 1881 والتي عرفت العنف آنذاك بأنه: "تدمير موظفي الحكومة الأكثر تسببا بالأذى، والهدف هو كسر هيبة الحكومة وتقديم دليل مرتبط بمتابعة النضال ضد الحكومة وذلك من أجل رفع الروح الثورية لدى الشعب"[6]

نجد أن هذا النوع من الإرهاب تراجع بعد الحرب العالمية الثانية مع ظهور حركات التحرر ضد الاستعمار الأوروبي في آسيا وإفريقيا، فصارت تسمية الإرهاب تدل على مقاومة الاحتلال بعمليات مسلحة ضد الجيوش الاستعمارية أو المستوطنين، وبالتالي لم تعد للفظ الإرهاب أية علاقة بإرهاب الدولة أو المؤسسة الحاكمة،

نستنتج مما سبق أن لفظ الإرهاب عرف تطورا كبيرا عبر التاريخ، فاستعمالاته قديما ليست لها أية علاقة باستعمالاته حديثا، إذ غالبا ما اعتبر عنفا مشروعا لفرض النظام أو مبررا لأعمال قتالية أو رد فعل للواقعين تحت الاستعمار، بمعنى أننا حينما نتحدث عن (عنف مشروع) فإننا هنا لسنا أمام جريمة يعاقب عليها القانون، أي أننا هنا نوجد فوق القانون.

تحول كبير سيشهده مفهوم الإرهاب في بداية القرن العشرين، حيث أثارت حادثة اغتيال الملك اليوغسلافي ألكسندر الأول ومقتل وزير خارجية فرنسا لويس بارتو Louis Barthou أثناء زيارة رسمية كان يقوم بها الأول في مرسيليا الفرنسية عام 1934 من طرف انفصاليين كرواتيين ويوغوسلافيين ردود فعل عنيفة في أوروبا، وقدمت الحكومة اليوغسلافية احتجاجا لعصبة الأمم مطالبة إياها بإجراء تحقيق عاجل، وتقدمت الحكومة الفرنسية إلى العصبة بمذكرة حول اتفاقية دولية لمكافحة الجرائم التي ترتكب لأغراض سياسية أو للإرهاب، وعلى إثر ذلك عقد مؤتمر دولي في جنيف عام 1937 توصل فيه المؤتمرون إلى صياغة اتفاقية دولية لمنع الإرهاب الدولي، حيث عرفت الإرهاب على أنه "جميع الأفعال الإجرامية الموجهة

[4] عزمي بشارة "الإرهاب: بموجب هوية الفاعل أم بموجب هوية الضحية؟" مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (الدوحة ـ قطر) العدد 29 نوفمبر 2017 ص 10

[5] *Randall David Law, Terrorism: A history (Cambridge, UK Polity, 2016) P.98*

[6] *Ze'ev Iviansky, Individual terror: Concept and typology, Journal of contemporary history, vol 12, no 1 (1977) P.46 (Program of the executive committee of the Russian Narodnaya Volya Party, Prgf 2 Sec d)*

ضد الدولة ويراد منها خلق حالة من الرعب في أذهان أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو عموم الناس"[7] ، فلربما كانت هذه أول مرة يعرف فيها الإرهاب كـ (فعل جرمي) ضد الدولة وضد المدنيين وينسب إلى مرتكبه بوصفه (مجرما).

وعرفت وزارة الخارجية الأمريكية الإرهاب في عام 1999 بكونه " عنف متعمد بدوافع سياسية ضد أهداف غير مقاتلة من طرف المجموعات غير الوطنية أو عملاء سريين" [8] وفي عام 2001 عرفه الاتحاد الأوربي على أنه "الجرائم التي يرتكبها فرد أو جماعة عمدا ضد دولة أو أكثر، أو ضد مؤسساتها أو شعبها، بهدف التخويف أو بهدف تغيير جدي للنظام السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي لبلد ما أو تدميره" [9]

مرة أخرى يستثني التعريفين الدولة من فعل الإرهاب، وينسب إلى الفرد أو الجماعة، حيث يكون لهما كامل المسؤولية في إطار القانون الجنائي، ففي هذا القانون إذا قام شخص بعمل نتج عنه إضرار بآخرين، أجسادهم وممتلكاتهم، فإن عدم القصد لا يعفي من المسؤولية، ولا سيما إذا كان السبب هو الإهمال وكان الفاعل يعي إلحاق الضرر بالآخرين أو يقتلوا نتيجة لفعله، فالإهمال هنا يصبح إجراميا، ويعد استهدافا، فالاستهداف في القانون الجنائي يكتفي بوعي الفاعل بطبيعة هدفه، وليس بالضرورة أن يكون هذا دافعه، فالأشخاص الذين فجروا أنفسهم في أحداث الدار البيضاء 16 ماي 2003 مثلا لم يكونوا يستهدفون المدنيين الذين قتلوا هناك تحديدا، بل كانوا يستهدفون بالأساس تلك الضجة وذلك الأثر الترويعي الذي خلفته العملية الانتحارية داخل المجتمع المغربي والدولي، ونتيجة لذلك قد يصبح أي شخص آخر عرضة للقتل، فلا يجوز الخلط بين الدافع للقتل (الذي يعتبر وجوده من الأدلة في القانون الجنائي) والاستهداف. "فالتسبب في الموت عن وعي بالفعل وهدفه هو جريمة قتل"[10].

غير أن الإرهابي بدوافع دينية لا يرى في نفسه أنه يرتكب جريمة ولكنه يعتقد نتيجة تبرير خاطئ (طبعا لسوء فهمه للنصوص الدينية وتأويله لها حسب إيديولوجية الجماعة التي ينتمي إليها) أنه يقوم بفعل شرعي بل من واجبه ذلك (إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل ونصرة للدين)، وهذا موضوع يحتاج إلى ورقة بحثية مستقلة ولا يسع المجال هنا للخوض فيه الآن.

وإذا كانت القاعدة الشهيرة تنص على أن ما بني على باطل فهو باطل، فإن (الإرهاب الإلكتروني) يعد جريمة مكتملة الأركان تصنف ضمن الجرائم الإلكترونية، فالركن المادي يتمثل أساسا في القيام بفعل يسعى إلى إيجاد حالة من الذعر والفزع باستخدام أحد الوسائل الإلكترونية، والركن المعنوي يتجلى في القصد الجنائي العام المتمثل في العلم والإرادة، أي علم الجاني بأنه يرتكب فعلا معينا باستخدام أحد الوسائل والأدوات الإلكترونية، أما الركن الدولي فيبرز في أبعاد الجريمة الدولية من خلال تهديدها للسلم والأمن الدوليين.

---

[7] أحمد محمد رفعت وصالح بكر الطيار " الإرهاب الدولي "، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس، 1988 ص 66

[8] عبد العزيز مخيمر عبد الهادي " الإرهاب الدولي "، دار النهضة العربية، 1986، ص 176

[9] *Commission of the European communities, Council farmwork decision on combating terrorism (Brussels 2001) P.7*

[10] انظر المادة 8 /2 أ من القانون الجنائي الدولي (باب أركان الجرائم)، وانظر الفصل 392 من القانون الجنائي المغربي.

نعرج على بعض التعريفات لنرى كيف تم تعريف الجريمة الإلكترونية، وفي اعتقادي أن هذه التعريفات يمكن أن تمدنا بقدر كاف من الموضوعية العلمية والراهنة لكونها انطلقت من معطيات الواقع الافتراضي الرقمي على اعتبار أنها واكبت بداية ظهوره وتطوره

بالرجوع إلى النظم القانونية المختلفة والتشريعات الإقليمية والدولية (وهي حديثة لا تتعدى سبعينات وثمانينات القرن الماضي واكبت التطور السريع الذي عرفه مجال المعلوميات والإلكترونيات خلال هذه الفترة) نجد أن هناك اختلافا في تحديد مفهوم الجريمة الإلكترونية، حيث أن البعض قدم تعريفا لها استنادا إلى معايير ومحددات فنية، حيث يذهب فقهاء هذا النمط إلى اعتبارها "نشاطا إجراميا تستخدم فيه تقنيات الحاسب الآلي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كوسيلة وهدف لتنفيذ الفعل الجرمي المقصود"[11]، في حين أن البعض الآخر اكتفى ببيان الأفعال التي يجرمها ووضع لها العقوبات القانونية التي تتناسب وهذا الجرم، حيث يرى أصحاب هذا النمط أنها "سلوك غير مشروع معاقب عليه قانونا صادر عن إرادة جرمية ـ مدنية ـ ومحله معطيات الحاسب الآلي"[12] كما أن هناك من ربط بين الفعل الجرمي والحاسب الآلي باعتباره أداة رئيسية لارتكاب الجريمة، أي أنها "جريمة تقع داخل النظام المعلوماتي وفي نطاقه"[13]، وأنها "نشاط إجرامي يستخدم الكمبيوتر في ارتكابه كوسيلة أساسية"[14] ولعل هذا التفاوت في تحديد تعريف دقيق لهاته الجريمة هو ما جعل لها مسميات متعددة مثل الجريمة الرقمية والجريمة المعلوماتية[15] والتدليس الإلكتروني والاحتيال المعلوماتي وجرائم الكمبيوتر وجرائم الإنترنت والجرائم المستحدثة[16] والجريمة السيبرانية كمصطلح ظهر خلال الآونة الأخيرة.

أما بخصوص جريمة الإرهاب الإلكتروني، فإنها تعتبر من الجرائم الإلكترونية المستجدة التي واكبت ظهور الحاسوب والإنترنت وواكبت أيضا التطور الذي عرفته التنظيمات الإرهابية، "إذ لم تعد أفعال الإرهاب مقتصرة على جانبها التقليدي في التفجير والتفخيخ والإتلاف والقتل، إنما أصبح من الأفعال التي ترتكب عن طريق أجهزة الحاسوب والإنترنت، حتى بات الإرهابي يجلس في قارة من الكرة الأرضية خلف حاسوب وبضغطة زر واحدة يقوم بعمل إرهابي ينفذه بقارة أخرى"[17]، وقد عرفها مركز حماية البنية التحتية القومية الأمريكية بأنه "عمل إجرامي يتم التحضير له عن طريق استخدام أجهزة الكمبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية ينتج عنه تدمير أو تعطيل الخدمات، لبث الخوف بهدف إرباك وزرع الشك لدى السكان، وذلك بهدف التأثير على الحكومة أو السكان لخدمة أجندة سياسية أو اجتماعية أو إيديولوجية"[18]

---

[11] عبد الفتاح بيومي حجازي، نحو صياغة نظرية عامة في علم الجريمة والمجرم المعلوماتي، بهجت للطباعة والتجليد طبعة 1/ 2009 ص 17

[12] نائل عبد الرحمن صالح، وقائع جرائم الحاسوب في التشريع الأردني، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات، مايو 2000 ـ ص 3.

[13] عبد الكريم عباد، الجريمة المعلوماتية، ورقة بحثية بالمجلة الوطنية للعلوم القانونية والقضائية، العدد الأول، مطبعة الأمنية ـ الرباط ص 39.

[14] هشام فريد رستم، قانون العقوبات ومخاطر تقنية المعلومات، مكتبة الآلات الحديثة، مصر 1994 ص 29 - 30.

[15] نهلا عبد القادر المومني، الجرائم المعلوماتية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2008، ص 46.

[16] عبد الفتاح بيومي حجازي، المرجع السابق ص 17.

[17] نبأ نزار الربيعي، مخاطر الإرهاب الإلكتروني وسبل مكافحته، على الرابط *http://law.uobabylon.eduliq*

[18] ريهام عبد الرحمن رشاد العباسي، أثر الإرهاب الإلكتروني على تغيير مفهوم القوة في العلاقات الدولية، دراسة حالة تنظيم داعش، المركز الديموقراطي العربي، برلين 2016، ص 11

يتضح من خلال هذا التعريف أن جريمة الإرهاب الإلكتروني ترتكب بصور متعددة وبأشكال معينة وتهدف إلى أهداف غير ربحية بالضرورة كما هو الشأن في جرائم الاحتيال والتزوير والاختراق والتدليس والقرصنة التي ترتكب بهدف تحقيق الربح والاغتناء الغير المشروع، بل إنها تسعى إلى تحقيق أهداف أخرى، خاصة منها الاستقطاب والتخويف وإبراز القوة والتمويه والدعاية والترويج لخطاب وإيديولوجية التنظيمات الإرهابية المتطرفة.

فإلى أي حد استطاعت هذه التنظيمات أن تحقق هذه الأهداف الإجرامية مستغلة مزايا الفضاء السيبراني؟

2 ـ جريمة الإرهاب الإلكتروني: التجليات

نسعى من خلال هذا المبحث إلى التأطير المرحلي لعنصر التكنولوجيا والإعلام واستغلال الوسائط الإلكترونية لدى المشروع الجهادي، مبرزين أسباب ودواعي تركيز التنظيمات الجهادية على هذا العنصر خاصة تنظيمي "القاعدة" و "الدولة"، ومن ثم إبراز الأهداف التي تهدف إليها من خلالهما.

تمتد فكرة الاهتمام بالمادة الإعلامية والدعائية في المشروع الجهادي إلى عهد الأب الروحي للجهاديين الأفغان العرب عبد الله عزام في ثمانينات القرن الماضي، وقد أسس لهذا الغرض (مكتب خدمات المجاهدين)، حيث يرجع الفضل لهذا الأخير ـ باعتباره الذراع الإعلامي للمشروع الجهادي ـ في الترويج للقضية الأفغانية في مقاومتها ضد الاتحاد السوفياتي آنذاك، وقد لعب هذا المكتب وفروعه الخارجية دورا إعلاميا بارزا في نصرة القضية الأفغانية بل وحتى الفلسطينية واستقطاب عدد كبير من العناصر العربية والغربية المتعاطفة من مختلف بقاع العالم للتدريب والقتال في أفغانستان ضد السوفيات[19]، معتمدا في ذلك على المادة الإعلامية بشكل أساسي، حيث عمل على إنتاج مجموعة من الأشرطة المصورة بتقنيات تصوير كبيرة تتخللها مقاطع أناشيد جهادية، بالإضافة الى عدد ضخم من الأشرطة الصوتية تشتمل على دروس للتعريف بالقضية الأفغانية ومشروعها الجهادي ومجموعة من المجلات خاصة مجلة الجهاد وأناشيد حماسية وكتيبات ومطويات وملصقات وغيرها كثير، وقد ساهمت إلى حد كبير في شحذ الهمم وجلب تعاطف الملايين من المسلمين مع "القضية الأفغانية"، ويمكن القول أن الفضل يرجع إلى هذا المكتب الإعلامي في "عولمة المشروع الجهادي" ومنحه "الشرعية العالمية"

جدير بالذكر أن أسامة بن لادن الذي كان يقاتل في صفوف الأفغان العرب بمعية عبد الله عزام، انشق عن هذا الأخير سنة 1998 بسبب خلافات إيديولوجية حول "جهاد الاستسلام" الذي تبناه عزام وجماعته، ثم حول قبوله التعايش في ظل نظام غير إسلامي من أجل العمل الدعوي، وأيضا حول الدعم المادي الكبير الذي كان يتلقاه مكتب خدمات المجاهدين من مختلف بقاع العالم، فلم يستسغ بن لادن الأمر فتخلى عن جماعة عزام وكون تنظيما جهاديا متشددا اتخذ من العنف منهجا له وهو تنظيم "القاعدة" ومعلنا الحرب ضد من أسماهم (الصليبيين والصهاينة)، دون أن يتخلى عن منهجه الإعلامي الذي أدرك أهميته في الترويج لإيديولوجية العنف التي تبناها التنظيم الجديد.

[19] توماس هيغهامر، القافلة: عبد الله عزام وصعود الجهاد العالمي، ترجمة عبيدة عامر، ط 1 (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2021)، ص 29.

استمر العنف كمحور رئيسي للدعاية الجهادية مع تنظيم "الدولة" بقيادة أبي مصعب الزرقاوي الذي وجد الفرصة جد مواتية لاستغلالها على أوسع نطاق، وذلك بسبب الانتشار الكبير للتكنولوجيا والإنترنت، فعمل على الترويج لإيديولوجية التنظيم ذو الحمولة التكفيرية الكبيرة على أوسع نطاق وفي زمن قصير، مشكلا صورة إعلامية مغايرة تماما لكل من " الحركة الأفغانية " و " القاعدة "، كيف لا والزرقاوي أصبحت له "دولة" وأصبح من واجبه أن يبرز مقوماتها وأركانها وفي مقدمتها الإعلام كآلية فعالة لإبراز قدرة هاته "الدولة" ورجالاتها على الفتك والقتال، تمت ترجمتها بمشاهد التفجير والذبح وقطع الرؤوس وبتر الأيدي والأرجل.

ومن أجل الدفاع عن مشروعية "الدولة"، كان لزاما عليها الاهتمام بمنظومة الإعلام في الكشف عن تمددها وتطور استراتيجيتها لمواجهة العالم، حيث أصبحت الحاجة ملحة أكثر من قبل إلى البحث عن أدوات جديدة ومتعددة مواكبة للتطور التكنولوجي من شأنها أن توسع من قاعدة المعجبين والمتعاطفين والمستهدفين وتشكل نسقا إعلاميا بنيويا متكاملا يكون قادرا على خدمة أهداف "الدولة" ومشروعها "الجهادي"، وهو ما يتجلى بوضوح من خلال المحتوى الذي عملت مؤسسات التنظيم وكتائبه الإعلامية على صناعته باحترافية عالية والتسويق له عبر شبكة الإنترنت سواء بالنشر أو باختراق المواقع الإلكترونية وهو موضوع ورقتنا هاته حول جريمة (الإرهاب الإلكتروني)[20].

سنحاول رصد خطورة هذا الصنف الإرهابي الجديد من خلال وقوفنا على مجموعة من المواقف المستوحاة من الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة الذي يتم الترويج له عبر القنوات والأجهزة الرسمية التابعة له.

عمل تنظيم الدولة على إحداث عدد كبير من الصفحات الإعلامية الإلكترونية حيث نجد أن معظمها تابع لمؤسسات رسمية، والباقي تابع لجهات مناصرة للتنظيم كانت مهمتها تنحصر في ترويج ونشر ما تنتجه المؤسسات الرسمية، وصل عددها ما بين منتصف سنة 2014 و 2015 وفقًا لبحث مؤسسة Brooking، إلى أكثر من 46 ألف حساب على تويتر، ينشرون من خلالها رسائلهم مباشرة على الهواتف الذكية لجمهورهم [21]، وهو ما يدل على الحضور الإعلامي الحاشد للتنظيم وجهاته المناصرة وهيمنته على مختلف وسائل التواصل الاجتماعي باستخدام استراتيجيات متطورة تنتج مواد ومحتويات مصممة لتلائم جماهير مختلفة وبلغات متعددة بهدف الوصول إلى فئات عريضة من الجماهير، حيث أطلق تنظيم الدولة سنة 2015 اكثر من 120 حملة تستهدف الدول الغربية: 27٪ منها باللغة الإنجليزية، و 15٪ بالروسية، و 13٪ بالفرنسية، و 3٪ بالألمانية.

[20] انظر تقرير مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة "استخدام الإنترنيت لأغراض إرهابية" ص 33، نيويورك - 2013

[21] *Magdalena EL GHAMARI,PhD "PRO-DAESH JIHADIST PROPAGANDA. A STUDY OF SOCIAL MEDIA AND VIDEO GAMES" P: 77 Collegium Civitas, Warsaw, Poland - https://securityanddefence.pl/pdf-103197-36129?filename=Pro_Daesh%20jihadist.pdf*

اتبع التنظيم استراتيجية سمعية بصرية متطورة غير مسبوقة، تتكون من تطوير وتوزيع هائل للصور السمعية والبصرية التي تكون بارزة للغاية وذات صدى في ثقافة الجماهير المستهدفة، كما أن الحملات السمعية والبصرية للتنظيم واسعة النطاق، وبحسب المعطيات التي حللتها، أطلقت الجماعة الإرهابية 845 حملة سمعية بصرية بين 2014 ومنتصف 2015، أي أكثر من حملة كل يوم لمدة عام ونصف.

والأخطر من ذلك، أن هذه الصور التي يتم نشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي للتنظيم مشحونة بصور مستوحاة مباشرة من الثقافة الحديثة لجمهور عريض من فئة الشباب، ويُظهر التحليل النوعي لجميع الحملات البالغ عددها 845 أن أكثر من 15 بالمائة مستوحاة بشكل مباشر من الأفلام الحقيقية وألعاب الفيديو ومقاطع الفيديو الموسيقية للثقافة الشعبية المعاصرة.[22] وقد قام مسلحو التنظيم في هذا الإطار بإنتاج مقطع دعائي جهادي مصور على شكل لعبة فيديو شهيرة اسمها GTA (Grand) Theft Auto تستهدف فئة الشباب بشكل خاص يهدف من خلاله إلى تدمير القوات العراقية والأمريكية، ورفع معنويات المجاهدين وتدريب الأطفال والشباب على محاربة الغرب وبث الرعب في قلوب المعارضين للدولة الإسلامية، وجاء المقطع مليئا بالانفجارات وسيناريوهات القتال والقنص، وتتخلله صيحات "الله أكبر" طول مدة الشريط، مع بث صور مروعة لشخصياته وهي تقوم بذبح وقطع رؤوس ضحاياهم وتفجير السيارات والبنايات، وفي الجزء الأعلى للشاشة كانت هوية التنظيم حاضرة من البداية حتى النهاية.

سنعرض الآن لمجموعة من المؤسسات الإعلامية الرسمية التابعة للتنظيم وإصداراتها المتنوعة [23] لنتعرف على محتواها وطبيعتها وأدوارها في خدمة الأهداف الاستراتيجية ولنرى فيما إذا كانت موفقة في إحراز المكاسب والنتائج المنتظرة منها كآلية من آليات الجريمة الإرهابية.

ـ مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي:

تم إنشاؤها من طرف "دولة العراق الإسلامية" في 2006 بمبادرة من القيادي الإعلامي السابق في "القاعدة"، محارب عبد اللطيف الجبوري الذي تولى فيما بعد مهمة "وزير الإعلام" في التنظيم، كانت تعمل تحت إشراف مركز الفجر للإعلام التابع للقاعدة، وبعد إعلان أبي بكر البغدادي استقالته منه عام 2013 أصبحت هذه المؤسسة مستقلة.[24] ، تعرض مقرها للهجوم في مدينة الموصل بعد مقتل أبي عمر البغدادي وأبي حمزة المهاجر سنة 2010، بعد سنتين من ذلك عادت للعمل.

---

[22] *Ibid,..P: 78*

[23] نشير هنا بأن أغلب الإصدارات المرئية لتنظيم الدولة التي سنعرض لعناوينها فيما يأتي، تم حظرها على شبكة الإنترنيت وذلك بسبب قساوة وبشاعة مشاهدها في أغلب الأحيان، والإحالة إلى روابطها هو من باب الأمانة العلمية وليس من باب الدعاية والترويج لإيديولوجية التنظيم، فنحن نسعى إلى فهم واستيعاب وتحليل هاته الأيديولوجية بهدف مواجهتها والتصدي لها.

[24] مقتبس من نص مقابلة لوكالة "واي نيوز" مع الباحث العراقي هشام الهاشمي، جريدة الصباح الجديد العراقية، عدد 4 يونيو 2014 على الرابط:
http://newsabah.com/wp/newspaper/6752

وفي 2015/9/1 نشرت إحدى وكالات الأنباء العراقية خبرا حول هاته المؤسسة بعدما كانت جل المعلومات حول العناصر المشتغلة فيها مفقودة، ويتعلق بحدوث تغييرات هامة في هيكلتها التنظيمية منها تنصيب إعلامي جديد على رأس إدارتها يدعى عبد الله جلال العباسي عوض إعلامي سابق يدعى أبو هدى اليمني، مع الاعتماد على إعلاميين متخصصين أجانب خاصة من ألمانيا وبريطانيا بهدف نهوضهم بمشروع تطوير هاته المؤسسة.[25]

اضطلعت مؤسسة الفرقان بأدوار ومهام إعلامية كبرى في التعبير عن توجهات "الدولة الإسلامية في العراق"، حيث واكبت مرحلة نشأتها الأولى وأيضا مرحلة تطورها وسيطرتها على مجموعة مدن عراقية، وعملت على إبراز قوة "الدولة" واستراتيجيتها العسكرية بشكل مبالغ فيه، معتمدة في ذلك على تصدير كلمات القادة وخطبهم، وإنتاج عدد مهم من الأفلام الوثائقية والاستطلاعات والدروس المصورة.

من أبرز إنتاجات المؤسسة سلسة أفلام "صليل الصوارم" التي وثقت بشكل درامي للعمليات العسكرية للتنظيم في العراق على شكل أجزاء منذ دخول العراق وحتى إعلان "الخلافة"،[26] اشتملت على رصد غزوات وتحركات مقاتلي التنظيم وتصوير لقاءات معهم وشهادات شخصية لهم حول طريقة سقوط مدن عراقية في أيديهم، مع مشاهد دموية لعمليات قتل وتفجيرات كان الهدف منها هو توسيع عملية السيطرة والتمدد المواكبة لمرحلة إعلان "الخلافة".

إلا أن هذا التوجه الإعلامي للمؤسسة سيعرف تغيرا خطيرا مع بداية التحالف الحربي الدولي ضد التنظيم الإرهابي تجلى بوضوح في إطار استراتيجية التنظيم لمواجهة هذا التحالف التي اعتمدت بالأساس على (سلطة الصورة) من خلال بث المؤسسة لإصدارات مرئية عنيفة توثق للحظات ذبح وقطع رؤوس رهائن أجانب وعنونتها بأسماء تبدأ باسم (رسالة) إلى الدولة المتحالفة مع أمريكا والتي ينتمي إليها الرهينة،[27] وتحميل حكومة تلك الدولة مسؤولية ذبح وقطع رأس الرهينة، بل أحيانا كان ذلك يتم على لسان الرهينة الضحية مثلما حدث مع الأسير الصحافي البريطاني جون كانتلي.[28]

سلسلة إعلامية أخرى عملت مؤسسة الفرقان على إنتاجها وقد جاءت تعلي من شأن مقاتلي التنظيم وتشحذ هممهم للمزيد من القتال وتضفي الشهامة البطولية عليهم، تبتدأ عادة بسيرة ذاتية للمقاتل مع أقوالهم ووصاياهم، ثم كلمات مجد وثناء في حقهم من قبل قادة التنظيم وفي بعض الأحيان كلمات رثاء في حق من (استشهدوا منهم في ساحات الوغى) [29]

---

[25] مركز أخبار شبكة الإعلام العراقي (IMN)، بغداد 2015/9/1، على الرابط: *http://goo.gl/J8DTg2*

[26] سلسلة (صليل الصوارم) لم تعد متاحة على رابطها: *http://goo.gl/GLDnv8*، والنشيد التصويري للسلسلة متاح على الرابط: *https://archive.org/details/20200129_20200129_0902*

[27] مثل فيديو بعنوان "رسالة إلى أمريكا" يوثق لعملية ذبح الرهينة الأمريكي جيمس فولي، وفيديو بعنوان "رسالة أخرى إلى أمريكا وحلفائها" يوثق لعملية ذبح الرهينة البريطاني آلان هيينغ، وفيديو بعنوان "رسالة إلى حكومة وشعب اليابان" وفيه تهديد بذبح رهينتين يابانيين، وفيديو لاحق له بعنوان "رسالة إلى حكومة اليابان" يوثق لعملية إعدام الرهينة الياباني كينجي غوتو.

[28] مثل فيديو بعنوان "أعيروني سمعكم: رسائل من الأسير البريطاني جون كانتلي" نشرته مؤسسة الفرقان في سلسلة حلقات

[29] مثل شريط مرئي بعنوان "فرسان الشهادة" وآخر بعنوان "حداء الشهداء" وآخر بعنوان "قوافل الشهداء" و "رثاء القائد عمر لأمير الإمارة الإسلامية في القوقاز" و "رثاء أبي أسامة الذي قتلته جبهة الغدر"

الصنف الآخر من إنتاجات المؤسسة كان يصب في اتجاه الترويج والتصدير الدعائي للتنظيم، ويهدف إلى المباهاة بـ "الدولة" وبإنجازاتها التي تحققت منذ تأسيسها وحتى إعلان "الخلافة"، ودعواتها للجهاد والالتحاق بالتنظيم، من هذه الإصدارات نذكر استطلاعا مصورا بعنوان "حصاد المنهزمين في بلاد الرافدين" سنة 2007، و "عامان لدولة الإسلام وما حققته من إنجازات" سنة 2008، و "خمسة أعوام لدولة الإسلام" سنة 2011، و "رسائل من أرض الملاحم" و "الدولة من أفواههم"[30]

ـ مؤسسة الاعتصام للإنتاج الإعلامي:

تأتي مؤسسة الاعتصام في المرتبة الثانية بعد الفرقان، غير أنها تركز اهتمامها على سوريا، وقد أنتجت بدورها مجموعة من الأفلام والاستطلاعات الوثائقية والإصدارات المرئية، من أهمها سلسلة "نوافذ على أرض الملاحم" وأيضا سلسلة "الرسائل" نذكر منها "رسالة إلى الأردن" و "رسالة إلى أهل البحرين" و "رسالة إلى أهلنا في معان" و "رسالة إلى أهل تونس"[31]

مجموعة أخرى من إصدارات مؤسسة الاعتصام المرئية وهي تلك التي جاءت على شكل رسائل من مقاتلين أجانب يمثلون جنسيات مختلفة موجهة إلى الدول التي ينتمون إليها، حيث بدوا وهم معتزون بانتمائهم للتنظيم ومنددين بحرب التحالف الدولي ضده ومتوعدين بالانتصار عليهم، نذكر من بينها رسالة بعنوان "رسالة مجاهد أول أبو سعيد البريطاني" و "رسالة مجاهد ثان أبو عمر الأنصاري" و "رسالة مجاهد رابع أبو خالد الأسترالي" و "رسالة مجاهد خامس أبو أنور الكندي"

صنف آخر من إصدارات المؤسسة هو المتعلق باستعراض قوة التنظيم وجبروته وقدرته على الفتك، نذكر منها إصدارين مصورين سنة 2014 بعنوان "عزم الأباة" و "من داخل عين الإسلام كوباني"[32] وإصدارا آخر سنة 2015 بعنوان: "صد الصفويين في صلاح الدين" الذي عرض لمشاهد انتحارية قام بها أفراد التنظيم، مع وصايا لهم على ألسنتهم قبل التفجير، حملت التحريض على (الطواغيت) و (المرتدين)، والنفير لدولة "الخلافة".[33]

يمكن القول إن مؤسسة الاعتصام تميزت عن مؤسسة الفرقان بسلسلة إصدارات لدعم التنظيم ومشروعه الجهادي التي سلطت الضوء فيها على قيادات التنظيم ورموزه والتي عنونتها المؤسسة باسم "سلسلة الحياة، من كلام العلماء حول مشروع الدولة الإسلامية" حيث جاءت السلسلة خاصة بكل من (أسامة بن لادن ـ أبو مصعب الزرقاوي ـ أبو حمزة المهاجر ـ أنور العولقي ـ أبو عمر البغدادي ـ أبو يحيى الليبي)[34]

---

[30] نجلاء مكاوي، محمد محمود السيد، هيثم سمير "تنظيم الدولة، دراسة تحليلية في بنية الخطاب" مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، 67/66 - الطبعة الثانية 2017

[31] نفس المرجع السابق، ص 69

[32] مدينة سورية تقع في الشمال على الحدود مع تركيا، اسمها عين العرب، والتنظيم يسميها عين الإسلام، ويوثق الإصدار المرئي لمعركة كوباني في اللحظة التي كان يحاصرها وعلى وشك السيطرة عليها على الرغم من ضربات التحالف الدولي.

[33] نجلاء مكاوي، محمد محمود السيد، هيثم سمير "تنظيم الدولة، دراسة تحليلية في بنية الخطاب" مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ص 70 و71 ـ الطبعة الثانية 2017

[34] نفس المرجع، ص 71

ـ مؤسسة الحياة للإعلام:

تتميز هاته المؤسسة عن الفرقان والاعتصام بكونها تركز في جميع إصداراتها على التجنيد واستقطاب المقاتلين الأجانب من غير العرب والدعوة إلى الالتحاق بالدولة الإسلامية لأداء (فريضة الجهاد)، ولذلك تم التركيز فيها على الإصدارات بلغات أجنبية خاصة اللغة الإنجليزية بالدرجة الأولى، كما تتميز أيضا بكونها قامت بالإشراف على إصدار مجلة ورقية ناطقة باسم التنظيم بشكل رسمي اسمها "دابق" سنعرض لتفاصيلها بعده.

إذا كان التنظيم ركز على جانب الظهور بمظهر القوة ومظهر المنتشي بالنصر أمام العالم كله، فإن نفس النهج اعتمده أيضا في استقطاب الأجانب من العرب وغير العرب، بدا ذلك واضحا من خلال إصدارات مؤسسة الحياة التي ركزت على عنصري التحفيز والتمويه باعتماد تقنيات عالية وذات جودة في التصوير والمونتاج والميكساج، حيث عكست للمشاهد أن الدولة الإسلامية قائمة وأنها آمنة والعيش فيها أفضل ولها موارد مالية هامة، وهي ماضية في التوسع وتحقيق الانتصارات ومن التحق بها فقد من الله عليه بعالم النور بعدما كان في عالم الظلام، وفي هذا الاطار أنتجت مؤسسة الحياة سنة 2015 سلسلة مصورة بعنوان "قصص من أرض الحياة" على شكل حلقات، الحلقة الأولى عن مقاتل فرنسي كاثوليكي كبير السن أطلق عليه التنظيم اسم "أبو صهيب الفرنسي" ويحكي هو بنفسه عن قصة إسلامه والتحاقه بالجهاد واعتزازه بالانضمام للدولة، ويعكس الفيديو من خلاله حالة الهدوء والاستقرار في (دار الحياة/أي دار الإسلام)، حيث يظهر وهو يتجول في إحدى ولايات التنظيم بسوريا، (يتعايش مع الناس، ويرتاد المسجد ويصلي، ولم يفته أن يؤكد في حديثه أن المسلمين الذين قابلهم خارج التنظيم، ليسوا مسلمين حقيقيين، وأن الإسلام، بما يفرضه من جهاد، وتطبيق للشريعة، متجسد فيما أقامه التنظيم داخل دولته، التي دعا إلى الهجرة إليها)[35]، وهنا لا بد أن نتوقف عند ملاحظة أساسية متعلقة بتركيز التنظيم في إعلامه على العناصر الأجنبية والغير مسلمة بالدرجة الأولى، في إشارة واضحة إلى عالمية مشروع "الدولة" من جهة، وإلى استغلال قناعات الأجانب من غير المسلمين في التنظيم وحقيقة مشروعه من جهة ثانية.

نفس الأمر تجسد من خلال إصدارين مصورين لكن هذه المرة بطلهما هو الرهينة البريطاني جون كانتلي، الأول يحمل عنوان "من داخل الموصل" والثاني "من داخل حلب"، حيث بدا كانتلي وهو يتجول في سوق بالموصل ليوضح للعالم أن الحياة فيها تسير بشكل طبيعي وأن ساكنة المدينتين رحبت بحكم التنظيم وتطبيق الشريعة مكذبا ما نشرته عدة صحف عربية وغربية وخاصة صحيفة (The guardian) الأمريكية حول حياة العذاب في "الدولة الإسلامية" نتيجة ارتفاع الأسعار وانقطاع الكهرباء وانتشار الجريمة.

[35] نفس المرجع، ص 73

هناك حلقات مصورة أخرى من سلسلة "قصص من أرض الحياة" جاءت في نفس السياق، نذكر منها قصة حياة مقاتل بوذي أسترالي الأصل سماه التنظيم باسم "أبو خالد الكمبودي" ركز فيها المخرج من خلاله على تجسيد كيان الدولة بجميع أجهزتها وقطاعاتها مثل المدارس والمستشفيات والمحاكم، وأكد هو بنفسه أن التحاقه بالدولة جاء بناء على قناعاته الشخصية نافيا أن يكون له ولأمثاله (سوابق قضائية) كما يصورهم الإعلام.

نفس الأمر ينطبق على حلقة خاصة بمقاتل شاب آخر من كندا اسمه "أبو مسلم الكندي" ركز فيها المخرج على تصويره وهو يهوى الطبيعة ويمارس هواية صيد الأسماك ويلعب رياضة الهوكي ويعيش حياة مطمئنة عادية، وينفي من خلال هذا الفيديو أن تكون أوضاعه المادية والاجتماعية المزرية بكندا هي التي قادته للانضمام للتنظيم، وأن ما دفعه لذلك هو طاعة الله التي تتجسد في (دار الحياة/الإسلام) وليس في (دار الكفر)[36]

هناك إصدارات أخرى لمؤسسة الحياة تم إنتاجها بهدف المباهاة بالتنظيم وقوته وتجسيد مفهوم "سلطة الدولة" نذكر منها "شروق الخلافة وعودة الدينار الذهبي" أعلن فيه التنظيم عن إصدار عملة "الدولة الإسلامية" الجديدة وهي الدينار الذهبي والشروع في تداولها مدعيا أنها ستدمر الدولار الأمريكي، وإصدار آخر بعنوان "ماذا تنتظرون" عرض لجنود فرنسيين وهم يحرقون جوازات سفرهم كفرا بها وبقوانين دولتهم، داعين الفرنسيين إلى الهجرة من (أرض الكفر) إلى (أرض الخلافة)، وإصدار آخر بعنوان "لهيب الحرب" حيث صور فيه حربه ضد أمريكا بحرب الإيمان ضد الكفر، ويظهر فيه مجموعة من جنود النظام السوري الأسرى من منطقة ريفية بمحافظة الرقة وهم يحفرون قبورهم ثم قتلهم بالرصاص من طرف مقاتلي التنظيم، وانتهى الفيلم بتوجيه رسالة لأمريكا جاء فيها: (.. فلتعلمي يا حامية الصليب، أن حرب الوكالة لن تنفعك في الشام، كما أنها لن تنفعك في العراق، وعما قريب ستكونين في المواجهة المباشرة مرغمة، وأن أبناء الإسلام قد وطنوا أنفسهم لهذا الشيء، فتربصوا إنا معكم متربصون)[37] والمقصود هنا بحرب الوكالة هي حرب التحالف ضد الإرهاب بقيادة أمريكا، وإصدار آخر بعنوان "رسالة موقعة بالدماء إلى أمة الصليب" نشرته المؤسسة سنة 2015، وتم تصويره في ليبيا، ويعرض لعملية ذبح مصريين هناك، وجه التنظيم من خلاله رسالة إلى (الصليبيين) بأنه سيقاتلهم كافة كما يقاتلونه كافة، في إشارة إلى التحالف العالمي ضد الإرهاب.

النوع الثاني من أنواع الإصدارات الإعلامية لمؤسسة الحياة هو ما جاء بصيغة ورقية، ونقصد بذلك مجلة "دابق" لسان حال التنظيم والناطقة الرسمية باسمه، تعبر عن نفسها بكونها "مجلة دورية تركز على قضايا التوحيد والمنهاج والهجرة والجهاد والجماعة، وتحتوي على تقارير مصورة وأحداث جارية ومقالات إعلامية حول مسائل تتعلق بالدولة الإسلامية"، وقد اعتمدت بدورها على التباهي بانتصارات التنظيم ورسم صورة خاصة لاستعادة العصر الذهبي الإسلامي والتبشير بخلافة جديدة قائمة على الجهاد.

[36] نجلاء مكاوي، محمد محمود السيد، هيثم سمير "تنظيم الدولة، دراسة تحليلية في بنية الخطاب" مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ص 74 ـ الطبعة الثانية 2017
[37] نفس المرجع، ص 78

ودابق منطقة في سوريا من المفترض أن تكون موقعًا لإحدى معارك التنظيم، تبعد بحوالي عشرة كيلومترات من الحدود مع تركيا، وقد تم اختيار هذا الاسم ليرمز إلى ملحمة الانتصار ويعكس توجه التنظيم لخدمة أهداف الخلافة.

أعداد المجلة تجاوزت العشرة، نسوق هنا مختصرا لمضمون الأعداد الأربعة الأولى لنرى التوجه الإعلامي العام لها ونطلع على المواضيع التي كانت تهتم بها.

ركز العدد الأول من دابق الذي صدر تحت اسم "عودة الخلافة" على إعلان الخلافة وما يعنيه ذلك. حيث تم شرح إيديولوجية التنظيم في محاولة لإقناع المزيد من المسلمين بالانضمام له، ثم شرح اسم المجلة والافتخار بانتصارات تنظيم الدولة داعش، متحدثة عن الجهود المبذولة لحشد الدعم بين الجماعات القبلية المحلية، والإبلاغ عن تعهداتهم بالولاء لأبي بكر البغدادي، (خليفة الدولة الإسلامية).

يستخدم العدد الثاني من دابق صدر بعنوان "الطوفان" التشبيه المجازي لقصة نوح كتعبير عن رسالة قوية موجهة للآخر، إما أن تكون مع الدولة الإسلامية أو ضدها ومحكوم عليك بالانهيار، إنها دعوة لجميع المسلمين في جميع أنحاء العالم إلى التعهد بالولاء للدولة الإسلامية والالتحاق بها[38].

يركز العدد الثالث الذي حمل اسم "الدعوة إلى الهجرة" على دعوة الجهاديين للمسلمين في جميع أنحاء العالم للانتقال إلى العراق وسوريا للانضمام إلى دولة الخلافة في أسرع وقت ممكن.

العدد الرابع بعنوان "الحملة الصليبية الفاشلة"، ركز على حرب التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية وسخر مما يعتبره الإسلاميون حملة محكوم عليها بالفشل، معبرين عن يقينهم قائلين "هذا الدين هو الموعود بالنصر"، وقد جاءت صورة الغلاف تمثل ساحة القديس بطرس الشهيرة في روما، وتشير إلى طموحات الدولة للوصول الى مهد المسيحية وغزو العالم.[39]

لقد عكست المجلة بدورها ومن خلال جميع أعدادها استراتيجية التنظيم الإعلامية القائمة ـ وكما أشرنا سابقا ـ على عناصر الظهور بمظهر الدولة المكتملة الأركان وإبراز قوتها وصمودها واستقطاب المزيد من المقاتلين والدعم المالي وتعبئة عناصرها وشحذ هممهم وتحفيزهم على القتال وترهيب العدو وتخويفه، وعملت على تسويق مجموعة كبيرة من المقولات الدينية ذات الحمولة الجهادية وآيات القرآن والأحاديث النبوية وأقوال السلف وأقوال قادة التنظيم مثل البغدادي والعدناني.

[38] *BBC NEWS, "Dabiq: Why is Syrian town so important for IS?" 4 October 2016 https://www.bbc.com/news/world-middle-east-30083303*
[39] *BBC NEWS, "Dabiq: Why is Syrian town so important for IS?" 4 October 2016 https://www.bbc.com/news/world-middle-east-30083303*

ـ شركة السحاب للإنتاج الإعلامي:

يتبين من خلال اسمها أنها تحمل صفة "شركة" في إشارة لاختلافها عن باقي الأسماء الأخرى التي وجدنا أنها تسمي نفسها "مؤسسة"، لكن الظاهر أنها مجرد أسماء يختارها تنظيم (القاعدة) عمدا ليضفي طابع الهالة والقوة والكثرة على "كيانه" وكأنها دولة مكتملة الأركان لها مؤسساتها وشركاتها وأجهزتها المادية والأيديولوجية.

تعتبر هذه (الشركة الإعلامية) من المؤسسات الحديثة الظهور، ويظهر من مختصرها التعريفي أنها تمثل "تغطية إخبارية خاصة بالمجاهدين في خرسان" [40] ، وقد نشرت مؤخرا عبر موقعها بيانا من (القيادة العامة لقاعدة الجهاد) تحت عنوان "بيان بشأن الزحف الإباحي لجزيرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبر كأس العالم قطر 2022" تتهم من خلاله أنظمة الحكم بـ "إفساد المنظومة الأخلاقية الأصيلة لشعوب جزيرة محمد عبر ما يسمونه بمواسم الترفيه الموغلة في اللهو والمجون والإفساد، لإشاعة تبرج الجاهلية الأولى بين فتيات ونساء المسلمين، وصناعة التفاهة بين أبنائهم" وتوجه فيه الاتهام لقطر "بتبذير المال وإفساد النسل، وإهدار أعراض وثروات أهل جزيرة محمد (ص) عبر التبذير الخيالي المتعمد الذي لم يشهد تاريخ الانسانية مثله...، وإنها والله الطامة والرزية التي تحل بالجزيرة المحمدية بجوار الحرمين الشريفين ومهبط التوحيد، وإنها ـ تالله ـ لساعة الأهوال لأمة الإسلام، فحق للأمة كلها أن يقال لها بعدئذ: (اصنعوا لآل جعفر طعاما) وإلى الله المشتكى" [41]

من خلال هذا البيان يمكن أن نتوقف عند الاستنتاجات التالية:

1 ـ تم نشره على الصفحة الرئيسية لشركة السحاب وينسب إلى (القيادة العامة لقاعدة الجهاد)، وهو مصدر يبدو أنه يمثل تنظيم القاعدة

2 ـ يؤكد البيان صحة ما تداولناه في هذه الورقة من كون التنظيمات الإرهابية تستغل التكنولوجيا والإعلام الرقمي في إثبات وجودها وأنها لا زالت كائنة رغم الحرب ضدها، وأيضا في إبراز قوتها واستعراض عضلاتها وترهيب عدوها.

3 ـ تركز التنظيمات الإرهابية على الأحداث العالمية الراهنة واهتمامات الشعوب بهذه الأحداث في إشارة لكأس العالم قطر 2022 في محاولة يائسة منها للفت الانتباه بها (Tendance) وتوجيه هذا الاهتمام نحوها ونحو ما تسميه بـ (قضايا الأمة)

4 ـ تستعمل هذه التنظيمات خطابا إعلاميا شديد اللهجة مستعملة أسلوبا متطرفا ولغة متعصبة ومرادفات التحقير والتنكيل من قبيل (صهاينة العرب) و (وكلاء الصليبيين) و (الطغاة) و (حثالة أهل الأرض)، وهذا يدل على ما أصبحت تعانيه من نبذ وعدم تقبل من طرف الجميع.

[40] https://sahabmedia.co/?p=6025

[41] نفس الرابط

ـ وكالة أعماق للأنباء:

تعمدت الجيوش الإرهابية الإلكترونية بمنحها صفة (وكالة) كتقليد لجميع الدول التي تتوفر على وكالات أنباء رسمية، وأعماق تمثل التوجه الرسمي لتنظيم الدولة، حيث تقوم بنشر جميع الأخبار السياسية والعسكرية له على مدار الساعة، ولها تطبيق يمكن تنزيله على الهواتف الذكية من متجر (google)

ـ شركة الراية للإنتاج الإعلامي:

لها موقع إلكتروني مفعل وتسمي نفسها بأنها "صوت الجهاد والمجاهدين في بيت المقدس"، تصدر نشرة (توعوية تهتم بشؤون الأمة) باللغة العربية اسمها (النفير)، ومجلة باللغة الإنجليزية اسمها (One Ommah/ أمة واحدة)، لا زالت تنشر على صفحتها الرئيسية حملة بعنوان (جهز غازيا)، تدعو من خلالها إلى دعم الجهاد والمجاهدين عن طريق استقبال التبرعات بواسطة "الخدمة الأكثر أمنا، والأكثر سهولة في عصرنا، خدمة العملة الرقمية BITCOIN/البيتكوين، فهي تتناسب مع طبيعة وظروف عصرنا الحالي في معظم دول العالم، خاصة في ظل الحرب الشعواء على الأمة الإسلامية عامة وعلى أبنائها المجاهدين خاصة" [42] في إشارة واضحة لتعاطي التنظيمات الإرهابية لعمليات تبييض الأموال وتهريبها عبر قنوات مزيفة ومشبوهة.

ـ مؤسسة أجناد للإنتاج الإعلامي:

وهي مؤسسة متخصصة في الإصدارات الصوتية ذات الجودة العالية باستعمال تقنيات حديثة مثل الأناشيد الجهادية والقرآن والدروس، وكذلك الخلفيات الصوتية والترنيمات والأيقونات الصوتية.

ـ إذاعة "البيان":

وهي أول إذاعة ينشئها التنظيم، كان مقرها يتواجد في مبنى إذاعة الزهور بالموصل (العراق) ولها أبراج في الرقة وسوريا، وكانت تبث نشراتها وبرامجها بعدة لغات على الموجة القصيرة لساكني المناطق التي سيطر عليها التنظيم في البلدين وعبر الإنترنت، وتتناول تغطيتها الإخبارية أخبار التنظيم وبياناته بشأن عملياته العسكرية وقراراته الإدارية، كما كانت تبث القرآن الكريم وسلسلة برامج دينية تروج للخطاب الأيديولوجي للتنظيم، ومجموعة من خطب "الخليفة" أبو بكر البغدادي.[43]

---

[42] https://alraia.net

[43] انظر الرابط
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/issues/2015/12/15/%D8%AF%D8%A7%D8%A8%D9%82%D9%88%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%82%D8%A3%D8%B0%D8%B1%D8%B9%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9%D9%84%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85

ـ مركز الفجر للاعلام:

يعد من أكبر المؤسسات الإعلامية التابعة للقاعدة، يركز على الإنتاجات الإعلامية الموجهة للأجنحة النسوية التابعة لهذا التنظيم، له مجلة نسائية اسمها (الشامخة) وأخرى اسمها (الخنساء)[44] وهما مجلتان إلكترونيتان صادرتان عن (المكتب الإعلامي النسوي بجزيرة العرب) منسوبة لذراع النساء المنخرطات في العمل الإرهابي لتنظيم القاعدة، والهدف منها هو "إرشاد النساء إلى كيفية الجمع بين الجهاد وممارسة الحياة اليومية" [45]

هناك مجموعة كبيرة من المؤسسات والإصدارات الإعلامية الرقمية تحمل أسماء مختلفة، غير أنه يصعب في كثير من الأحيان تصنيفها ومعرفة ما إذا كانت تابعة بشكل رسمي للتنظيمات الإرهابية خاصة القاعدة والدولة، على اعتبار أنهما التنظيمان الأكثر استعمالا وتداولا للإعلام التكنولوجي والأكثر تغلغلا ونفوذا رقميا، كما أن مجموعة كبيرة منها ظهرت مؤخرا ولا زالت تنشط في الفضاء السيبراني، ويبدو من خلال ملخصاتها التعريفية أنها تابعة لمناطق أو (ولايات) أو (إمارات) دون ذكر أسماء التنظيمات التي تنتمي إليها، نذكر منها (وكالة شهادة الإخبارية الخاصة بالصومال وإفريقيا) و (صوت الإسلام الخاص بمسلمي تركستان) و (الموقع الرسمي لإمارة أفغانستان الإسلامية) و (مؤسسة صانع المجد) وغيرها.

ـ وسائل التواصل الاجتماعي:

تمتلك التنظيمات الإرهابية خاصة تنظيم "الدولة" عددا مهولا من الحسابات والوسائط الإلكترونية المفتوحة على فايسبوك ويوتيوب وتويتر وانستغرام، بالإضافة إلى تطبيقات الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية مثل تطبيق "فجر البشائر" والفيروسات المتطورة، ويعمل على توظيفها بشكل أساسي وفعال لعرض مواده ومحتواه الدعائي الذي ينشر عبر مؤسساته وأجنحته الإعلامية المشار إليها أعلاه، وأيضا للتواصل مع مناصريه واستقطابهم للقتال في صفوفه، أو توظيفهم في خدمة خطته الإعلامية ونشر التغريدات وتنسيق تعميمها، وفي جمع المعلومات الاستخبارية، وتنسيق عمليات الرد على الأصوات والتغريدات المعادية لنشاط التنظيم وأهدافه، ويتبنى التنظيم منهجية الإغراق المعلوماتي عبر مواقع لا يمتلكها، إذ تعج الأخبار التي تنشرها المواقع المختلفة وتتناول تنظيم الدولة بتعليقات المدافعين عنه. ويقول خبراء إن للتنظيم جيشا إلكترونيا مدربا بشكل جيد ومهمته حماية مواقع التنظيم وحساباته على مواقع التواصل الاجتماعي من الإغلاق أو الاختراق. [46]

---

[44] الخنساء من أولى المجلات التي أصدرها تنظيم القاعدة سنة 2004، سرعان ما توقفت عن الاصدار ليتم تعويضها بمجلة الشامخة، انظر الرابط *https://www.alanba.com.kw/ar/world-news/191003/27-04-2011/*

[45] صورة غلاف مجلة الشامخة النسوية على نفس الرابط *https://www.alanba.com.kw/ar/world-news/191003/27-04-2011/*

[46] انظر الرابط

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/issues/2015/12/15/%D8%AF%D8%A7%D8%A8%D9%82%D9%88%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%82%D8%A3%D8%B0%D8%B1%D8%B9%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9%D9%84%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85

فبالنسبة لـ "يوتيوب" فقد بدا واضحا خلال الفترة الممتدة ما بين 2013 و 2016 استخدام تنظيم الدولة له بشكل مثير للانتباه كمسرح للدعاية والاستقطاب، حيث انتشرت عبره مجموعة كبيرة قدرت بعشرات الآلاف من الفيديوهات التي تعرف بالتنظيم وأفكاره وتوثق لتطوره وتغلغله خلال هذه الفترة، واجهها المشرفون على الموقع بالحذف والتعطيل خصوصا منها ذات المشاهد العنيفة التي توثق لعملية ذبح الرهائن وتقطيع رؤوسهم وبتر أصابع يدهم وأرجلهم، مما جعل جنود التنظيم الإلكترونية تتحايل على ذلك من خلال فتح قنوات جديدة بأسماء مختلفة التي أغرقت يوتيوب بإصدارات التنظيم الإرهابي، ورغم ذلك فإن الحرب الإلكترونية ضد إصداراته لا زالت قائمة.[47]

أما بالنسبة لـ "تويتر" فإن تنظيم الدولة اعتمد عليه بشكل كبير في التواصل بين عناصره لما يتيحه من سهولة في إرسال الرسائل المكثفة والقصيرة وانتشارها بسرعة فائقة وواسعة الانتشار، وذلك من خلال آلاف المستخدمين له الذين أطلقوا ملايين الوسوم (الهاشتاغات) والروابط الدعائية الصوتية والمرئية التي تعرف بالتنظيم وتؤيده وتدعو إلى الالتحاق به، وتمرر من خلاله خطاب الترهيب والوعيد (للعدو) الذي يشن حربا عالمية ضده من خلال الفيديوهات الدموية ذات المشاهد البشعة، كما عمل التنظيم على شن حرب إلكترونية من خلال تسخيره لجيوش من التقنيين والهاكر الذين أسندت لهم مهام مضاعفة عدد الحسابات الموالية للتنظيم واختراق الحسابات المناهضة له، ونذكر منهم "جيش الصحابة الإلكتروني" و "هاكر الخلافة"[48] ، والتي عملت إدارة "تويتر" على تعطيلها رغم الصعوبات المرتبطة بمراقبتها ومتابعتها نظرا لكثرتها وفتحها بأسماء مستعارة.

وبالنسبة لـ "فايسبوك" فإن جنود التنظيم الإلكترونية استغلته على أوسع نطاق في الترويج لخطابها، بل إن طبيعة هذا الفضاء ساهمت بنفسها في الحضور الكبير للتنظيم من خلال نشر أخباره من خلال حسابات أشخاص ومؤسسات إعلامية وهيئات وحكومات رافضين له ومنددين بأفعاله الإرهابية، فمجرد ذلك جعله حاضرا بقوة وساهم في الدعاية المعكوسة لصالحه، وأثبت مبتغاه في الترهيب والوعيد من خلال إصداراته المصورة العنيفة.

أمام هذا الزخم التكنولوجي والإعلامي الكبير للتنظيمات الإرهابية عبر كتائبها الرقمية، والذي ساهم ـ كما رأينا ـ إلى حد كبير في الانتشار الواسع لها بما أصبح يهدد الأمن السيبراني وحتى الواقعي، ويطرح أكثر من احتمال حول حدود هذه الجريمة وحول مستقبل الإرهاب وفيما إذا كان سيختفي أم يزيد من عنفه في القادم من الأيام؛ فإن سؤال نجاعة التشريعات القانونية الدولية يطرح نفسه بقوة، فهل استطاعت هاته الأجهزة بالفعل أن تتصدى للجريمة الإرهابية الإلكترونية؟ وإلى أي حد كانت فعالة في ردع هاته الجريمة ومحاربتها؟

سنحاول الإجابة على هاته الأسئلة من خلال الجزء الأخير لهاته الورقة البحثية، وذلك من خلال التركيز على الإسهام القانوني للمشرع المغربي في محاربة هاته الجريمة.

---

[47] انظر نجلاء مكاوي، محمد محمود السيد، هيثم سمير "تنظيم الدولة، دراسة تحليلية في بنية الخطاب" مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، ص 106 ـ الطبعة الثانية 2017

[48] نفس المرجع، ص 110 - 111

3 ـ دور المشرع المغربي في محاربة جريمة الإرهاب الإلكتروني

لسنا بحاجة هنا لكي نبرز الدور الفعال للأجهزة الأمنية والقضائية في الانخراط في الاستراتيجية الدولية لمحاربة الإرهاب ومساهمته الهامة في إنجاحها، لكننا بحاجة إلى تقييم هذا الدور وهاته المساهمة لنرى ما إذا كان المشرع المغربي ناجحا في تصديه للجريمة الإرهابية خاصة الإلكترونية منها.

جدير بالذكر أن أحداث الدار البيضاء 16 ماي 2003 ساهمت في التسريع بإخراج قانون الإرهاب 03/03 إلى حيز الوجود بعد المصادقة عليه في مدة وجيزة ونشره بسرعة قياسية على الجريدة الرسمية[49]، حيث سعى المغرب من خلال هذا القانون إلى موائمته مع الاتفاقيات والقوانين الدولية، تجاوبا مع التزاماته الدولية تجاه الاستراتيجية الدولية التي يعتبر طرفا فيها.

وضع هذا القانون مجموعة من الجرائم المشكلة للإرهاب والتي تهدف إلى المس الخطير بالنظام العام، غير أن مسألة تواتر الإلتحاقات ببؤر التوتر بسوريا والعراق لدعم التنظيمات الإرهابية خاصة تنظيم داعش، والتي ساهمت فيها الجريمة الإلكترونية لهذا التنظيم كما رأينا في المبحث السابق بوصفها أداة فعالة في الاستقطاب والتجنيد؛ فرض على المشرع المغربي تحيين النصوص التشريعية قصد إعادة التكييف الجنائي للجريمة الإرهابية ذات المضامين والأشكال والامتدادات الجديدة، وفي هذا الاطار جاء مشروع القانون 86.14 المتعلق بتجريم الالتحاق ببؤر التوتر وكذا تجريم الدعاية للإرهاب والتحريض عليه، حيث سعى المشرع على تجويد النص القانوني 03.03 وتطوير بنيته، خاصة العنصر الذي يهمنا في إطار هذه الورقة وهو إضفاء البعد التجريمي على الأشخاص الذين يستعملون الفضاء السيبراني لترويج الفكر الإرهابي وأدبياته.

لا بد من الإشارة هنا بأن المشرع المغربي وفي إطار وعيه المسبق بخصوصيات الجريمة الإلكترونية من حيث صعوبة التعرف عليها ومراقبتها وضبط المتورطين فيها، فقد بادر إلى تبني قانون خاص بذلك وهو القانون رقم 07.03 المتعلق بنظم المعالجة الآلية للمعطيات[50]

يحتوي هذا القانون على تسعة فصول (من الفصل 607.3 إلى 607.11 من مجموعة القانون الجنائي)، وما تمت ملاحظته هو أن المشرع المغربي لم يضع تعريفا لنظام المعالجة الآلية للمعطيات واقتصر على بيان مختلف أشكال الانتهاكات والخروقات المرتبطة بهذا النظام وعقوباتها، وتعتبر اتفاقية بودابست بمثابة إطار مرجعي قانوني لمضامين فصول هذا القانون لكافة الجرائم المرتكبة عبر وسائط إلكترونية، سواء أكانت ذات علاقة بمشروع فردي أو جماعي يهدف إلى استهداف النظام العام عن طريق الترهيب أو التخويف أو العنف، ولا نقصد هنا النظام العام بمفهومه التقليدي المادي، وإنما انتقلنا إلى مستوى نظام عام آخر

[49] "القانون رقم 03/03 المتعلق بمكافحة الإرهاب، الصادر بتنفيذه ظهير شريف رقم 1.03.140 - 28 ماي 2003" الجريدة الرسمية عدد 5112 (29 ماي 2003)، ص 1755.

[50] راجع الفصل 218.1 من مجموعة القانون الجنائي ـ الفقرة السابعة (الجرائم المتعلقة بنظم المعالجة الآلية للمعطيات)

وهو المتعلق بالعالم الافتراضي الرقمي للدول الذي "يقوم في سياق سعيها الحثيث على إيجاد ترسانة قانونية متطورة في مقتضياتها وزاجرة في أهدافها قصد حمايته وعدم المساس به، ثم لا بد من استحضار احترام مبدأ المشروعية في سياق البحث والتحري عن الدليل الرقمي"[51]

تتوافر صور وأشكال الركن المادي في جريمة الإرهاب الإلكتروني من خلال إمكانية ارتكاب الفعل باستخدام تقنيات أنظمة المعلوميات الإلكترونية، شريطة توفر ثلاثة عناصر أساسية حسب المشرع المغربي، الأول يتعلق باستخدام قدر من العنف التهديدي نتيجة سلوك معنوي إلكتروني، والثاني مرتبط باستهداف الترويع بين الناس أو تعريض حياتهم للخطر، والثالث بالطرف المرتكب للفعل فردا كان أو جماعة، ونتيجة لذلك فإن الإرهاب المرتكب عبر الوسائط الإلكترونية تتحقق فيها الشروط المادية للجريمة المستوجبة للعقاب.

ومن أجل توسيع نطاق التجريم المقترن بجريمة الإرهاب الإلكتروني عمد المشرع المغربي إلى إضافة مجموعة من الأفعال الغير مشروعة، ونخص بالذكر تجريم كافة صور وأشكال عمليات تمويل الإرهاب ودعمه بواسطة الأنظمة الرقمية، وكذلك تجريم كافة أشكال وصور تسهيل الاتصالات بين الجماعات الإرهابية والتدريب على الأعمال الإرهابية بواسطة أنظمة تقنية المعلومات.

وكأمثلة على ذلك؛ نشير هنا إلى القرار الصادر عن الغرفة الجنائية باستئنافية الرباط بتاريخ 2011/05/31 حول وقائع نازلة قضائية حول مواطن فرنسي قام بتشكيل خلية إرهابية كانت تستهدف ضرب المواقع الحساسة في المملكة، وزرع الفتنة وزعزعة الاستقرار والمساس بالسلامة الداخلية والخارجية للدولة المغربية، وفي سياق البحث الذي باشرته الضابطة القضائية تحت إشراف النيابة العامة قامت بحجز مجموعة من أدوات تنفيذ الجريمة من بينها هواتف ذكية وحواسيب إلكترونية، حيث تم حجزها وإخضاعها لتحليل الأدلة الرقمية الموجودة بداخلها، كشفت عن تردد هذه الخلية على بعض المواقع الجهادية لتنظيم داعش الإرهابي[52].

وفي قضية مماثلة قضت استئنافية الرباط بسنة سجنا نافذا في حق طالبين يتابعان دراستهما بكلية العلوم بتطوان نتيجة تورطهما في خلية إرهابية تابعة لتنظيم داعش، حيث ثبتت الجريمة في حقهما بواسطة تسجيلات هاتفية، وأيضا عبر نشرهما على مواقع التواصل الاجتماعي مبايعتهما لهذا التنظيم، وأيضا تعلمهما لطرق صنع المتفجرات بالاستعانة من المواقع الإلكترونية[53]

[51] عبد الله بن سليمان، الإجرام المعلوماتي في التشريع المغربي، دار الأمان، الرباط الطبعة الأولى 2017، ص 249.
[52] قرار منشور رقم 1/798 ملف جنائي عدد 2010/12/307 مجلة رسالة المحاماة، العدد 27 السنة 2011، ص 28.
[53] نفس المصدر السابق

وفي مثال أخير مرتبط بجريمة الإشادة بالإرهاب عبر الوسائط الإلكترونية واعتباره عملا إيجابيا ومشروعا نسوق اجتهادا قضائيا لمحكمة النقض قضى بتاريخ 2009/03/04 بنقض وإبطال القرار المطعون فيه الصادر عن غرفة الجنايات باستئنافية الرباط في 18 يونيو 2008 في الملف رقم 08/36 في حق المسمى (ب.م) وبإحالة القضية على نفس المحكمة لتبث فيها من جديد وهي مكونة من قضاة لم يسبق لهم المشاركة في القضية، وتتلخص وقائعها في كون المتهم له انتماء سياسي يعمل بأحد محلات الإنترنت الشيء الذي مكنه من ولوج عدة مواقع تروج لفكر التطرف والجهاد وخاصة البوابة الإلكترونية التابعة لتنظيم القاعدة والتي كان يشاهد من خلالها بعض العمليات الانتحارية باستخدام متفجرات للمجاهدين في العراق، ووضح بأن المتهم سبق له أن أسس رفقة صديق له يدعى (ج.ب) جريدة إلكترونية تحت اسم "موطن" وهي موقع للدعاية الجهادية[54] وفي ذات السياق أدانت محكمة الإرهاب بالرباط بسنة سجنا نافذا لمجموعة من الأفراد على خلفية تدوينة نشروها على صفحة التواصل الاجتماعي فايسبوك تمجد الإرهاب وتصف قاتل السفير الروسي بتركيا بالبطل، وقاموا أيضا بتأسيس صفحة عبر فايسبوك سموها "فرسان الإصلاح"

هكذا يتبين إذن أن المشرع المغربي عمل على الانخراط الجاد في المنظومة التشريعية الدولية من خلال مواءمته وتكييفه للأفعال الجرمية المرتبطة بالإرهاب الإلكتروني وفق تشريعات هذه المنظومة سيما مع اتفاقية بودابست الأوربية باعتبارها الاطار القانوني المرجعي المعني بمكافحة الجريمة الإلكترونية بكافة أصنافها، وكذا خلق نوع من الانسجام التشريعي بين القانون 03.03 والقانون رقم 03.07 المتعلق بمكافحة الإرهاب والذي يتضمن من بين الأفعال المصنفة أعمالا إرهابية مجموع الجرائم المتعلقة بنظم المعالجة الآلية للمعطيات "كلما كان لها علاقة عمد بمشروع فردي أو جماعي يهدف إلى المساس الخطير بالنظام العام"[55]، وذلك سعيا منه إلى سد الفراغ التشريعي الذي كان يعرفه القانون الجنائي والذي "جعل القضاء في مجموعة من النوازل يصرح ببراءة المتابعين استنادا إلى مبدأ الشرعية، وذلك بسبب غياب سند تشريعي للوصف الجنائي المتابع من أجله المتهمون"[56]

خاتمة

هكذا يتبين إذن أن جريمة الإرهاب الإلكتروني فرضت على المجتمع الدولي بلورة استراتيجيات ناجعة وفعالة من شأنها أن تحفظ البنية التحتية للعالم السيبراني وتصد عنه أي هجوم يمس بنظامه العام، رغم كونها جريمة زئبقية معقدة يصحب حصرها والتحكم فيها رقميا، بالإضافة إلى كونها جريمة عابرة للحدود والأوطان وآثارها شديدة الخطورة وسريعة الانتشار وغير مكلفة ماديا تكلف جهاز حاسوب وتغطية إنترنت فحسب.

[54] قرار صادر عن محكمة النقض بتاريخ 2009/03/04 عدد 168/01 في ملف جنائي عدد 2008/19676.

[55] هشام ملاطي، خصوصية القواعد الإجرائية للجرائم المعلوماتية ـ محاولة مقاربة مدى ملاءمة القانون الوطني مع المعايير الدولية، مقال منشور في مجلة سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 7، السنة 2014 ـ ص 31

[56] رشيد وظيفي، الإطار القانوني للجريمة الإلكترونية في التشريع المغربي، مقال منشور في مجلة سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 7، السنة 2014 ـ ص 30

وفي هذا الاطار سعت الاستراتيجية الدولية لمكافحة الإرهاب التي ترعاها الأمم المتحدة إلى تبني مقاربة وقائية وأخرى قانونية لمنع وقوع الجرائم الإرهابية بشتى أنواعها سعيا منها إلى ضمان الأمن القومي الإقليمي والدولي، وهي الاستراتيجية التي انخرط فيها المغرب بل ساهم في إنجاحها من خلال بلورة عدد هام من التشريعات القانونية التي أبانت عن مصداقيتها أمام المنتظم الدولي وعن فاعليتها في التصدي لجميع أشكال الجرائم الإرهابية، والتي لا زالت تحظى بالتقدير والتنويه من مختلف المنظمات الدولية والإقليمية والمؤسسات الرسمية المعنية بالأمن ومكافحة الجريمة الإرهابية.

هذا وقد سعى المشرع المغربي إلى اعتماد مقاربة قضائية تؤطرها نصوص تشريعية مواكبة للتطور الذي عرفته جريمة الإرهاب الإلكتروني وما أفرزته من تحولات جديدة، وهو ما حذا به (المشرع المغربي) إلى استباق الزجر بمقاربة وقائية قضائية وتعزيز ترسانته القانونية من خلال التنصيص على عقوبات شديدة وصارمة نظرا لخطورة الفعل الجرمي الإرهابي وآثاره السلبية المرتبطة بالمس الخطير باستقرار وأمن البلاد والعباد.

إن تقييم سياسة المشرع المغربي في القضايا ذات الصلة بجريمة الإرهاب الإلكتروني تدفع بنا إلى تسجيل مجموعة من الملاحظات:

1 - غياب وضع تعريف دقيق لمكافحة الإرهاب والإرهاب الإلكتروني والاكتفاء بتحديد بعض ملامح هذا التعريف وإحصائها ومن ثم إدراجها ضمن الأفعال الإجرامية

2 - التأخر في صياغة القوانين والتشريعات الخاصة بجريمة الإرهاب الإلكتروني وارتباط بلورتها بوقوع الأحداث الإرهابية للدار البيضاء في 16 ماي 2003.

3 - الاكتفاء بصياغة القوانين المرتبطة بالجرائم المعروفة حاليا دون التفصيل فيما قد يصبح مجموعة جرائم إرهابية إلكترونية جديدة خاصة مع الظهور الملفت للانتباه لتطبيقات الذكاء الاصطناعي

4 - غياب آليات المراقبة الناجعة والفعالة وخلايا الإنذار المبكر للمواقع الإلكترونية الإرهابية وكذا صفحات التواصل الاجتماعي

5 - غياب مبادرات الدولة والمجتمع المدني المرتبطة بالتحسيس بمخاطر الإرهاب وارتياد المواقع الإلكترونية الإرهابية

6 - غياب مكون التأهيل التقني والتكنولوجي والتطوير المعلوماتي لفائدة مسؤولي الأجهزة التشريعية والقضائية

7 - تحويل الحملة التحسيسية الوطنية حول الأمن السيبراني التي يتبناها قطاع التربية الوطنية وقطاع التعليم العالي من حملة سنوية إلى مادة أساسية ضمن المقررات الدراسية والجامعية.

المراجع العربية

1. أحمد محمد رفعت وصالح بكر الطيار " الإرهاب الدولي "، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس، 1988
2. توماس هيغهامر، القافلة: عبد الله عزام وصعود الجهاد العالمي، ترجمة عبيدة عامر، ط 1 (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2021)
3. رشيد وظيفي، الإطار القانوني للجريمة الإلكترونية في التشريع المغربي، مقال منشور في مجلة سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 7، السنة 2014
4. ريهام عبد الرحمن رشاد العباسي، أثر الإرهاب الإلكتروني على تغيير مفهوم القوة في العلاقات الدولية، دراسة حالة تنظيم داعش، المركز الديموقراطي العربي، برلين 2016
5. عبد العزيز مخيمر عبد الهادي " الإرهاب الدولي "، دار النهضة العربية، 1986
6. عبد الفتاح بيومي حجازي، نحو صياغة نظرية عامة في علم الجريمة والمجرم المعلوماتي، بهجت للطباعة والتجليد طبعة 1/ 2009
7. عبد الكريم عباد، الجريمة المعلوماتية، ورقة بحثية بالمجلة الوطنية للعلوم القانونية والقضائية، العدد الأول، مطبعة الأمنية ـ الرباط
8. عبد الله بن سليمان، الإجرام المعلوماتي في التشريع المغربي، دار الأمان، الرباط الطبعة الأولى 2017
9. عزمي بشارة "الإرهاب: بموجب هوية الفاعل أم بموجب هوية الضحية؟" مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (الدوحة ـ قطر) العدد 29 نوفمبر 2017
10. مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة "استخدام الإنترنت لأغراض إرهابية" نيويورك ـ 2013
11. نائل عبد الرحمن صالح، وقائع جرائم الحاسوب في التشريع الأردني، كلية الشريعة والقانون، جامعة الامارات، مايو 2000
12. نبأ نزار الربيعي، مخاطر الإرهاب الإلكتروني وسبل مكافحته، على الرابط *http://law.uobabylon.eduliq*
13. نجلاء مكاوي، محمد محمود السيد، هيثم سمير "تنظيم الدولة، دراسة تحليلية في بنية الخطاب" مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات ـ الطبعة الثانية 2017
14. نهلا عبد القادر المومني، الجرائم المعلوماتية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2008
15. هشام فريد رستم، قانون العقوبات ومخاطر تقنية المعلومات، مكتبة الآلات الحديثة، مصر 1994
16. هشام ملاطي، خصوصية القواعد الإجرائية للجرائم المعلوماتية ـ محاولة مقاربة مدى ملاءمة القانون الوطني مع المعايير الدولية، مقال منشور في مجلة سلسلة ندوات محكمة الاستئناف بالرباط، العدد 7، السنة 2014

القوانين والقرارات

1. "القانون رقم 03/03 المتعلق بمكافحة الإرهاب، الصادر بتنفيذه ظهير شريف رقم 1.03.140 - 28 ماي 2003" الجريدة الرسمية عدد 5112 (ماي 2003)
2. المادة 8 /2 أ من القانون الجنائي الدولي (باب أركان الجرائم)، وانظر الفصل 392 من القانون الجنائي المغربي.
3. قرار منشور رقم 1/798 ملف جنائي عدد 2010/12/307 مجلة رسالة المحاماة، العدد 27 السنة 2011،
4. قرار صادر عن محكمة النقض بتاريخ 2009/03/04 عدد 168/01 في ملف جنائي عدد 2008/19676.
5. مجموعة القانون الجنائي ـ الفقرة السابعة الفصل 218.1 (الجرائم المتعلقة بنظم المعالجة الآلية للمعطيات)

المراجع الأجنبية

1. *George Leggett, "The Cheka: Lenin's Political Police" (Oxford: Oxford University Press, 1987).*
2. *Commission of the European Communities, "Council Framework Decision on Combating Terrorism" (Brussels, 2001).*
3. *J. Michael Waller, "Russia: Death and Resurrection of the KGB" in Ilan Berman & J. Michael Waller (eds), "Dismantling Tyranny: Transitioning Beyond Totalitarian Regimes" (Lanham: Rowman & Littlefield Publishers, 2006).*
4. *Magdalena El Ghamari, PhD, "Pro-Daesh Jihadist Propaganda: A Study of Social Media and Video Games."*
5. *Randall David Law, "Terrorism: A History" (Cambridge, UK: Polity, 2016).*
6. *Slavoj Zizek (ed.), "Robespierre, Virtue, and Terror" (London & New York: Verso, 2007).*
7. *Ze'ev Iviansky, "Individual Terror: Concept and Typology," Journal of Contemporary History, vol. 12, no. 1 (1977).*
8. *(Program of the Executive Committee of the Russian Narodnaya Volya Party, Prgf 2 Sec d).*

الصفحات والروابط الإلكترونية

1. نص مقابلة لوكالة "واي نيوز" مع الباحث العراقي هشام الهاشمي، جريدة الصباح الجديد العراقية، عدد 4 يونيو 2014 على الرابط: http://newsabah.com/wp/newspaper/6752
2. مركز أخبار شبكة الإعلام العراقي (IMN)، بغداد 2015/9/1، على الرابط: http://goo.gl/J8DTq2
3. سلسلة (صليل الصوارم) لم تعد متاحة على رابطها: http://goo.gl/GLDnv8

والنشيد التصويري للسلسلة متاح على الرابط: https://archive.org/details/20200129_20200129_0902

4. صورة غلاف مجلة الشامخة النسوية على نفس الرابط: https://www.alanba.com.kw/ar/world-news/191003/27-04-2011/

- *BBC NEWS, "Dabiq: Why is Syrian town so important for IS?" 4 October 2016* https://www.bbc.com/news/world-middle-east-30083303

- https://sahabmedia.co/?p=6025

- https://alraia.net

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/issues/2015/12/15/%D8%AF%D8%A7%D8%A8%D9%82%D9%88%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%82%D8%A3%D8%B0%D8%B1%D8%B9%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85

- https://www.alanba.com.kw/ar/world-news/191003/27-04-2011/

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/issues/2015/12/15/%D8%AF%D8%A7%D8%A8%D9%82%D9%88%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%82%D8%A3%D8%B0%D8%B1%D8%B9%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85

- *Collegium Civitas, Warsaw, Poland –* https://securityanddefence.pl/pdf-103197-36129?filename=Pro_Daesh%20jihadist.pdf